واحد هو الحفاظ على عروبة فلسطين ضد الاطماع الصهيونية . وقد غلب الطابع السلمي على اساليب المقاومة في الفترة الاولى فلم تتعدّ المظاهرات والاحتجاجات والمؤتمرات وايفاد الوفود ، وغير ذلك من الاساليب المشابهة ، الا ما كان ، في بعض الاحيان ، من اضطرابات كانت تنقلب عن مظاهرات تصطدم بعناصر الصهاينة ثم تمتد الاشتباكات فيها إلى الشرطة وجنود الانتداب ... ولربما اتسع بعض هذه الاصطدامات وامتد ساعات ، بل واياما ، احيانا ، ولكنها لم تكن على اية حال ، سياسة ثابتة لدى المقاومين . وظلت هذه النظرة تحكم الحركة الوطنية حتى قيام حركة الشيخ عز الدين القسام ، في منتصف الثلاثينات ، حيث تغيرت من بعدها الامور . وقد يكمن تفسير هذا الاتجاه ، اولا ، في كون قادة الحركة الوطنية من طبقة « الافندية » فعلا ، وهذا النمط من المقاومة اكثر ملاءمة لاستعداداتهم . وثانيا ، في اعتبار بريطانيا ، حتى ذلك الوقت ، وكأنها حكم ، حقيقة ، بين العنصرين المتصارعين .. وقد عملت هي من جانبها ، وبخبث ماكر ، على تثبيت هذا الاعتقاد محكومة بنظرتين : نظرتها الى ارتباطها الحقيقي بالصهيونية وما تراه من تلاحم مصالحها معها،فعقدت النية الصادقة على تنفيذ اتفاقاتها ، ونظرتها الى العرب بكل الاستهانة والاستخفاف ، فعقدت النية على خيانة وعودهم لاعتبارها إياهم « قوما صحراويين لا قيمة لهم ، وانهم سوف يقنعون ببعض التوكيدات والضمانات التي تعطيها لهم،فان لم يقتنعوا ، فقد يقومون في البداية ببعض الشغب ولكن سرعان ما يعودون الى صوابهم ويخلدون للسكينة بعد ان يروا رأس العصا على غرار قبائل الحدود الشمالية الغربية في الهند[١٣] » .

وفي هذه الفترة المبكرة من الاحتلال ، لم نظفر من شعرائنا المشايخ بما ينبىء عن ادراك احد منهم لحقيقة الموقف وخطورته ، ولدور الشاعر فيه ، ولكن من اللافت للنظر حقا ، ان نحس بالتجاوب السريع لهذا الواقع في نفس الشاعر العربي وديع البستاني ، اللبناني المولد والعشيرة ، الفلسطيني الاقامة والتوطن والذي قضى اكثر من ثلاثين عاما في فلسطين ، ووضع ديوانا كاملا في قضيتها اسما، (الفلسطينيات) .

وصل وديع يافا في آخر اسبوع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ ، وعمل مستشارا بمثابة كبير الموظفين بعد الكولونيل (بركر) فكان يرى غرفة ، في سراي يافا ، كتب على بابها « الجمعية اليهودية ـ الرئيس الملازم مكروري » فرأى في هذه الغرفة نواة الدولة اليهودية . وفي هذه الابيات التي سجلها في ١٩١٧/١١/٣٠ صورة لما ابداه ، في حينه ، من مشورة :

تريدونها جدا وجدا اقولها ... من اليوم سرا ان أردتمُ أو جهرا
فتحنا لكم صدرا مددنا لكم يدا ... واني لاخشى ان تديروا لنا ظهرا
عرفت طريق الهند من باب طارق ... الى عدن عبر القناة ولا نكرا
فان تحسبونا الجسر يبنيه عابر ... فلا تهدموه في الطريق لكم جسرا
ارى هوة تزداد عمقا سحيقة ... على عدوة انتم ونحن على الاخرى
ارى الوطن القوميَّ يعلو بناؤه ... ارى غرفة في القصر تحجبه قصرا
وذكرهم ذكر ولست مسيطرا ... مخافة يوم فيه لا تنفع الذكرى[١٤]